شعب مصر يودع الشاذلى فى جنازة مليونية

كانت المرة الوحيدة التى أعلن فيها البطل الفريق «سعد الشاذلى» استسلامه هى معركته مع المرض والشيخوخة، لم تهزمه الحروب والمعارك ولم يهزمه الظلم الذى وقع عليه ولم تتعبه الغربة وكثرة الترحال ولكن حزمته الشيخوخة بعدما نالت من صحته وقوته، وعندما اقتربت لحظات الرحيل بدأت الأقدار ترتب المشهد الأخير من حياة الفريق «الشاذلى»، قدر الله أن يأتى رحيل «الشاذلى» إلى مثواه الأخير فى الدنيا يوم تغيير التاريخ فى مصر، يوم انتصار ثورة ٢٥ يناير فيما أسماه الثوار بجمعة الرحيل، التى تم فيها رحيل مبارك وتخليه عن رئاسة مصر.

فى هذا اليوم ترجل البطل «سعد الشاذلى» عن جواد إصراره الذى رمح به لسنوات طويلة داخل مصر وخارجها من الهزيمة والانكسار إلى التحدى والانتصار، ليعلن فى محطته الأخيرة استسلامه لمشيئة الله، لم يحدد «الشاذلى» موعد رحيله عن الدنيا ولم يحدد الرئيس مبارك موعد رحيله عن كرسى الرئاسة وتخليه عن الحكم، لكن الله تعالى حدد لكل منهما موعده ليرحل الاثنان كل إلى مصيره فى يوم واحد وكأنه كان يوم القصاص «للشاذلى»؛ ففى الوقت الذى اصطف فيه آلاف المصلين

والمودعين والضباط أبطال أكتوبر خلف جثمان الفريق «الشـاذلى» لتقديم تحية العرفان لقائد ملحمـة النصر فى لحظات وداعه الأخير، اصطف أيضا ملايين الثوار فى الميدان الثائر ميدان التحرير ليؤدوا صلاة الغائب لروح الفريق «الشـاذلى» ويودعوه بكلمات تهز المشـاعر (الله يرحمك يا شـاذلى... أخذنـا بثأرك يا بطل) وكأنهم يعتـذرون للبطل عن ظلم وقع عليـه يوما فى عصر الرئيس مبـارك ، ويعاهدونه على مواصلة الكفاح من بعده.

ولما ارتفـع الجثمان على أعناق رجال الشـرطة العسـكرية وتبعه جمهور المصلـين من رجال الصاعقة والمظلات وأفرع القوات المسـلحة، كان طابـور المعزيـن يصعب فيـه التفريق بين أهل «الشـاذلى» وأقاربه وأسـرته وبين ضباطه من رجال القوات المسـلحة فى جنازة عسـكرية وشـعبية مهيبة والجثمـان يتقدمهم على عربة عسـكرية ملفوفا بعلم مصر، وفى مقدمة المشـيعين عدد كبير من كبار رجال القوات المسلحة، وباقات الورد وحملة الأوسمة والنياشين حتى وصل إلى مستقره الأخير فـى مقبرته، وبعد ذلك بسـاعات قليلة فى نفس اليـوم تم الإعلان عن تخلى الرئيس حسـنى مبارك عن رئاسة الجمهورية وانتقل بعدها إلى مستشفى شـرم الشيخ قيد الإقامة الجبرية هناك... يا سبحان الله وكما تديـن تُدان، تماما كما أجبر الفريق «الشـاذلى» من قبل أن يدخله ظلما مستشـفى السـجن الحربى ليظل فيها قيد الإقامـة الجبرية.... اللهم

لاحـول ولا قـوة إلا بالله، لحظـات قدرية لايقوى علـى ترتيبها بهذا النسق الخارق إلا الله تعالى ولا أعتقد أن الفريق «الشاذلى» نفسه توقع أن يأتى رحيله فى يوم تاريخى فى حياة المصريين وينال فيه هذا التكريم الشـعبى ويودعه المصريون فى جنـازة مليونية مهيبة على النحو الذى تمت عليه.

وتروى شهدان الشاذلى عن برقية عزاء خاصة توقفت عندها وقالت:

«تلقينا من رئاسـة الجمهورية صباح جنازة والـدى وقبل الإعلان عن رحيل مبارك عن الحكم بسـاعات قليلة تلغراف تعزية لنا (أسـرة الشاذلى) يعتذر فيه الرئيس مبارك عن تخلفه عن حضور جنازة الفريق الراحل».

فهل كان الرئيس مبارك يعتذر فى هذه البرقية الحزينة عن حضور الجنازة وحسب؟ أم كان يعتذر للشاذلى وأسرته عما ناله ونالهم من ظلم علـى يد مبارك وفى عصره؟، عندما كان مبارك على قمة السـلطة وكان قادرا على تبرئة «الشـاذلى» ولكنه تعسـف وقتها فى استغلال سلطته وجدد الحكم الصادر ضد «الشاذلى» من قبل ، لم يعف مبارك عندما كان قادرا على العفو ولم يأمر وقتها بمحاكمة عادلة تُبرئ «الشـاذلى» ولكنه أصر على سجن «الشاذلى» ظلما وبهتانا ودون محاكمة. فهل تكفى برقية اعتذار لتضميد جروح أُمّة سُـجن بطلها ظلما فى وطنه ساحة انتصاره؟ وهل تشفع للرئيس مبارك برقية عزائه الآن فى يوم إزاحته من كرسـى

الرئاسة بعد أن هلك عنه سلطانه وسلطته؟ وأعتقد أن ظلم مبارك للفريق «الشاذلى» كان سقطة كبيرة ووصمة عار فى تاريخ مصر العسكرى وفى حق الشعب المصرى من الصعب أن يغفرها أى اعتذار.

وظل الفريق «الشاذلى» حالة خاصة من البشر حتى يوم رحيله عن الدنيا فى يوم ١١ فبراير ٢٠١١م. وعبرت مصر عن عرفانها وتكريمها للفريق «الشاذلى» بعد رحيله ومنحته وسام «نجمة الشرف العسكرى» بعد رحيله بأيام فى فبراير ٢٠١١م تقديرا لأدواره البطولية فى خدمة وطنه مصر، كما وافق المسئولون فى نفس العام ٢٠١١م على نشر كتاب «الشاذلى» مذكرات حرب أكتوبر فى مصر والذى كان ممنوعا تداوله فى مصرمن قبل، وفى ٤ أكتوبر ٢٠١٢م أصدر الرئيس محمد مرسى بمناسبة احتفالات أكتوبر قرارا بمنح الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان الأسبق قلادة النيل تقديرا لدوره التاريخى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م وتسلمته أسرته.

وكانت أسرة «الشاذلى» قد طالبت بعد رحيله بالإفراج عن باقى مؤلفاته التى تمت مصادرتها مع كتبه ومقتنياته الثقافية وأوراقه الخاصة وصوره وذكرياته، وإعادة صورته إلى مكانها الصحيح فى صور حرب أكتوبر بين أبطال الحرب والقادة تصحيحا للتاريخ وكان لهم ما أرادوا فى عهد الرئيس محمد مرسى، وشاهد المصريون على شاشات التلفاز فى الاحتفال بذكرى حرب أكتوبر صور الفريق «الشاذلى» فى

أفلام تسجيلية عن حرب أكتوبر مع السادات والقادة العسكريين فى غرفة العمليات ومع جنوده على خط النار حقيقة مسجلة للتاريخ.

وأعلنت وسائل الإعلام فى ١٥ / ١٠ / ٢٠١٢م أن السيدة شهدان الشاذلى قد أهدت مذكرات والدها الفريق «سعد الشاذلى» إلى مكتبة الإسكندرية. وأطلقت القوات المسلحة اسم الفريق سعد الشاذلى على المحور الدائرى بين مدينة العبور ومدينة الحرفيين.

ورحل الفريق «الشاذلى» عن الدنيا وظل اسمه خالدا فى التاريخ العسكرى المصرى والعربى الذى سجل مع بطولاته ظلما عظيما وقع عليه، فالحق أبدا لا يموت والحقيقة مهما غابت لابد لها أن تظهر جلية للجميع بعدما تنقشع من حولها الغيوم. وها هى ذى الأيام تدور لتظهر مع دورتها الحق، وها نحن نكتب عن أمجاد الفريق «سعد الشاذلى» وبطولاته بعدما تحققت توقعاته المستقبلية التى كتبها بخط يده فى مذكراته قبل أن يموت بعشرات السنين فقال فيها :

(أنا واثق أن مصر ستكرمنى فى يوم من الأيام عندما يعرف شعب مصر حقائق وأسرار حرب أكتوبر)

رحم الله الفريق البطل «سعد الشاذلى» وجزاه عن وطنيته وبطولاته وخدمته لوطنه وأمته خير الجزاء.